جبر ضومط

مات الاستاذ ضومط ، مات رجل ترفى حياته على السبعين ، بعد أن قضى مايزيد على نصف قرن منها يبحث وينقب ويعلم ويهذب ويكتب ويؤلف . مات فى بيروت صباح الاحد فى ١٩ يناير . فطيرمنعاه الى جميع الاقطار فريع له ألوف تلاميذه وأصدقائه وعارفى فضله . وانقطعت بذلك حلقة أخرى من حلقات رجالنا الكبار الذين مشوا فى طليعة النهضة العلمية الحديثة يغذونها بفكرهم وخلقهم وصحتهم ، ولاينون فى الجهاد .

ولد الاستاذ ضومط في برج صافيتا بجوار طرابلس الشام سنة ١٨٥٨ تلقى مبادىء القراءة والكتابة والحساب فى مدرستها وكان من الذين درسوه فيها سنة ١٨٦٩ المرحوم الدكتور صروف . ثم حمله شغفه بالعلم على اقناع والديه بارساله الى مدرسة المرسلين الاميركيين في قرية عبيه بلبنان حيث استعد لدخول الكلية السورية الانجيلية فى بيروت (الجامعة الاميركية الآن) فذهب اليها سنة ١٨٧٠ ولبث سنتين ثم انتقل الى بيروت فى اكتوبر سنة ١٨٧٢ وظل فيها حتى تخرج سنة ١٨٧٦ ؛ وعين بعد احرازه شهادتها مدرساً للفلسفة الطبيعية واللغة العربية بمدرسة كفتين ؛ ورافق حملة غوردون باشا الى السودان سنة ١٨٨٤ ولما عاد دعته الجامعة الاميركية ليدرس اللغة العربية وآدابها فيها فشغل منصبه هذا فيها الى بضع سنوات خلت حتى قضى عليه ضعف الصحة باعتزال التدريس ، ولكنه لم يعتزل الدرس والبحث . فقد كان رحمه الله طالب علم الى آخر رمق من حياته .

وتزوج السيدة هدى صليبى شقيقة الدكتور نجيب صليبى الطائر الصيت فى جزائر الفيلبين فكانت له خير معوان على القيام بأعماله العقلية المختلفة ثم رزق منها بثلاثة صبيان: مخايل واميل ونجيب ، وثلاث بنات هيلانة (مدام

سكر) ومنيرة (مدام شحاده) ولوا كل منهم مثال يحتذي فى حسن السيرة والاكباب على العمل وممارسة الفضـ التى تحلى بها والدهم

كان الاستاذ ضومط معلماً فطر ن كذلك يذكر له كل الذين درسوا عليه ذلك الخلق العالى الفعال بلين باستقامته ، المرشد بانصبابه على العمل وتمسكه بالفضيلة ، المهذب بما يلاوه عطف الاب وصراحة الصديق. ولولم يكن له إلاهذا الاثر فى نفوس تلامـ أصدقائه لكان من الخالدين، فقد كان معروفا عندهم طوال حياته « بالمعلم جـ ، وارجح أن لقب « المعلم » سيلازم اسمه أينما ذكر

ولكنه كان علاوة على ذلك باحـ ود مجاهـل المباحث العويصة التى تصدى لها فى تاريخ اللغة العربية وأصلـ نحو لها بنظر ثاقب وحس دقيق ومعرفة واسعة النطاق . ومن أول الكتب التى وضعها فى هذا الباب من البحث كتاب « خواطر فى اللغة » حسبه المرحوم المكـ ور صروف « مبتكراً عندنا ومهداً لعمل أعده من أنفع الاعمال »

وكان فتى النفس والعقل ، لا يقعـ ر السنين عليه عن أن يتصل بروح عصره المتجدد فيجاريها بل ويسبقها خيال نزعات التعليم الجديدة الى كتبه النحوية والصرفية أواللغوية . لانه أدرك بالمرانة أن علم النحو وغيره من علوم اللغة اذا اقتصر فيه على مجرد الحفظ من غير اشراف على فهم أو تمييز كان مصيبة أية مصيبة ؛ فخرج فى مؤلفاته والدروس التى كان يلقيها على الاساليب القديمة ووضعها على نمط يتفق وعقل التلميذ إذ جعل الاعتماد على قوي الادراك والتمييز والقياس والحكم . وكأنه بذلك أضاف الى علوم اللغة نزعة فلسفية سيكولوجية جعلت لها بين الطلبة طلاوة جديدة ومقاما رفيعا . ومن مؤلفاته المتداولة « الخواطر الغراب ، فى النحو والاعراب »و « المعانى الحسان ، فى المعا

و البيان » و « فلسفة البلاغة » . وقد جمعت مؤخرا مقالاته العلمية والفلسفية فى كتاب « فلسفة اللغة العربية وارتقاؤها » وطبعت بمطبعة المقتطف

وقد قدم الاستاذ ضومط مصر في شتاء سنة ١٩٢٢ مع قرينته الفاضلة فاحتفى به تلاميذه العديدون المقيمون فيها ، وقبيل مغادرته لها أقيمت له حفلة تكريمية بدعوة من الآنسة مى فى منزل والديها حضرها طائفة كبيرة من الادباء والعلماء يتقدمهم احمد لطفى السيد بك واحمد زكى باشا والسيد رشيد رضا والدكتور منصور فهمى وخليل بك مطران والمرحوم الدكتور صروف والمرحوم نور الدين بك مصطفى وغيرهم من رجال العلم والصحافة والادب

وسنة ١٩٢٨ احتفل بيوبيله الذهبي فى جامعة بيروت الاميركية فى مهرجان فخم تقديرا لعلمه وفضله . وقد لقيه كاتب هذه السطور فى الصيف الماضى واجتمع به طويلا فاذا هو نشيط كل النشاط ، يقبل على عمله اليومى من درس وتنقيب وتأليف بهمة تخجل الشبان ، وتضع أمامهم مثالا عاليا لكبر الهمة وحب العلم والعمل . وكنا نقدر له طول الحياة بعد مارأيناه فى صحته من أمائر التحسن ، ولكن قضى القضاء ، لامرد لما قضى . تغمده الله برضوانه وألهم آله الصبر والعزاء وجعل سيرته وماتنطوي عليه من فضائل نبراسا يهتدى به أبناء الشرق

فؤاد صروف